الاختلاط بين الجنسين

للكاتبة الذائعة الصيت

مدام دى سان بوان

« مسألة اختلاط الجنسين من المسائل المويصة التى كثر حولها الجدل فى الايام الأخيرة ، وبما أننا نود أن نوقف قراء « المعرفة » على مجرى التيار الفكري المختلف ، فقد رجونا السيدة الفاضلة مدام دى سان بوان التفضل ببسط رأيها فى ذلك الامر لما لها من الخبرة الواسعة فى مثل هذه الموضوعات الهامة »

المحرر

لقد كان من النادر جدا قبل الحرب العظمى ، ان يترك النساء أوكارهن — التى تعد ميدانهن النسوى — ليذهبن فى جنبات العالم كالرجال « يكسبن القوت » ، ومن شذذن عن هذه القاعدة كن من القلة بحيث لا يخلقن مشكلة تحتاج الى الحل . ولكن الحرب بما نثرت من أشلاء الرجال فى انحاء العالم ، دفعت بالنساء الى العمل الذى كان الى ذلك الوقت من خصائص الرجال . ولما رجع المقاتلون الذين اخطأهم رصاص الحرب، وجدوا أماكنهم الشاغرة ممتلئة بالنساء ، وألفوا الوكر منقلبا رأساً على عقب ، كما ألفوا عقلية المرأة قد تغيرت ، فتغلغلت فى نفسها عادات جديدة ، هى عادات الاتصال بالعمل الذى لم يكن ضروريا لها قبل الحرب ، حيث كان الكثير من الكماليات غير معدود من الحاجيات . فكانت المرأة الضئيلة الثروة ، تقنع بمبهجات الحياة التافهة الصناعية فى سرور دون اقتناص اللذة العميقة.

ولن تستطيع جميع النبوءات والنصائح أن تغير شيئاً من حالة المرأة بعد الحرب، فالتيار جارف لا يقاوم، لأن المرأة رأت مجدها فى العمل ، لا تقصد بذلك العمل الذى يعينها على الحياة وحسب ، فان هذا المطلب من الحياة له صبغة جافة ، ولكنها تطلب العمل للمرح . فصدوفها عن « البيت » لتخضع لعبودية العمل ، هو ما تسميه « الحرية » . وقد بحثنا هذا الموضوع فى بحث سابق نشرناه فى هذه المجلة « المعرفة » بالعددين الأول والثانى، ونأمل فى المستقبل أن نناقش « العمل » والنظريات الحديثة والديمقراطية التى تتناول بعضها الآن .

ولما كان نزول المرأة الى ميدان العمل خارج بيتها قد تم ، ولما كان هذا الضرر الغربى ينتشر شيئاً فشيئاً فى الشرق .

ولما كانت مجموع المساوىء التى تعرف باسم « الموضة » مرضاً لم يعرف أطباء الاجتماع

كيف يوقفوه عند حده في الوقت المناسب ، والأمور تسير على ذلك المنهاج إلى آخر النكبة فتصبح بطريقة أخرى مستعمرة بعد ذلك ، فلنقف اليوم عند ناحية خاصة من هذه المسألة الاجتماعية الجديدة وهي : اتفاق ، إن لم يكن اختلاط الجنسين في كل الميادين .

إذا نظرنا إلى العمل الذي تتممه المرأة فقط ، فاننا نتفق في الرأي مع المتحمسين لفكرة عمل المرأة، فليس من شك أن المرأة تستطيع على الأقل أن تؤدي مختلف الأعمال التي تدير مجلة الحياة الاجتماعية والتي يعملها الرجل : كالآلات والادارة ، وأنها تستطيع كذلك — بدراساتها — أن تنجح في التخصص في أي شيء كان . ولكنا نظن انها ذات روح عملية أكثر من الرجل ، فهي أقل منه استعداداً لمواجهة الاشياء المجردة ، ولكن هذا بعض الشواذ . ولما كنا نحس حقيقة مؤقتة ، وجب علينا ان نلتجيء الى المتوسط والعام .

وهذا يعني كيف أن المرأة التي نعرف عنها سمواً غير منكور — اذا لم تضللها الشهوات — تميل إلى ما يسمونه «الروح العملية» وادراك التناسب ، وهذا لم يتحقق إلا حين نزلت الى ميدان العمل، فكانت سبباً عظيماً من أسباب البطالة السائدة في الغرب ، والتي تؤثر نتائجها الاقتصادية العالمية في السياسة الدولية . وأخيراً ، لما كان كل شخص له حق الحياة ، فانها ستصبح وشيكا إذا ظل تقدم المرأة كما هو الآن — لا شيء أكثر من شخص يسعى إلى كسب عيشه ، وهذا لن يغنيها شيئاً عن الحمل وولادة الأطفال للعالم ، لأنه حتى لو فرضنا أن الرجال هم من يعملون أشغال البيوت — فانهم لن يكونوا في وقت من الأوقات « أمهات »

وفي الجملة ، كيف لم تفهم المرأة أنه بدلا من أن تحرر نفسها ، حكمت على نفسها وبارادتها بالقيام بجميع الأعمال ؟ يجب أن تطلب المرأة العمل إذا دفعتها الظروف الاقتصادية القاهرة إليه اضطراراً ، لا أن تتشبه بالعاملة كأنها مثلها الأعلى .

ويجب ألا ننسى بعد ذلك أن المرأة التي ترغب أن تغزو كل الميادين ، قد سطت على ميادين الرياضة حيث تنافس الرجل ، ونحن لن نفصل البحث في هذا الموضوع ، فليس هذا مكانا ، ولكننا سنوضح الاغلاط الناشئة عن فساد استعمال الرياضة، وعلى الأخص بالنسبة للمرأة ، ويكفي أن نشير اليها ونحذرها من أن أمومتها تصبح أكثر عقما وعسراً .

ويبقى بعد ذلك وجهة النظر الشخصية ، التي تترتب عليها العلاقات الانسانية وهي : الأخلاق، والصفات، والفضائل الاجتماعية . فماذا اكتسب الرجال والنساء باجتماعهما من هذا الاختلاط الدائم في العمل ، والألعاب ، والرياضة ؟

كنا من المتفائلين القائلين بأن الرجال ، الذين يختلطون دائماً بالمرأة ، يكتسبون بديهة حاضرة ، وأدبا جماً . وكنا لا ننسى أيضاً أنه لاشيء أسهل من تقليد المساوىء ، وأنه ليس أصعب من اكتساب الفضائل حتى أمام أفضل المثل ، وأكثرها اجتذابا.

وها هي الحقيقة تفتح أعيننا، فقد أصبح النساء الرفيقات المتحفظات في تطورهن أشبه بالرجال، أما الرجال فانهم لا يتضجرون مطلقاً من الرفيقة التي معها يشربون، ويدخنون ويتكلمون باللغة الدارجة. فقد ذهب الاحترام، والأدب، والذوق في لحظة. وقد كانت المرأة دائماً هي التي تعلم الرجل، وكنا نرى أنه حيثما نجد الرجل فظاً نحكم بأن الغلطة غلطة المرأة.

ومن ناحية أخرى فقد قضى على الحب أن يختفي. وأصبح الحب الذي تقوم على العاطفة يضحك معاصرينا. وقد استطاع البعض — اذا حكمنا حكماً سطحياً — أن يجدوا مزايا في أن لا يكون الرجل ذا همّ في شغل بالمرأة. ولكنهم بماذا أبدلوا هذا الفكر المستمر؟ هل تخلصوا من المشاعر؟ أو هل أصبحوا روحانيين؟ كلا. هل ترك الناس أنفسهم لشهواتهم كاليوم؟ أو هل كان الانسان ماديا، أكثر تعطشاً للجمال للترف والقوة كاليوم؟

إن اللذة اليوم في متناول اليد، فلا حاجة لغزو قلب المرأة التي تعجب الرجل، ولا لذة في اكتسابها، ولا مجهود يبذل في سبيلها. فالاختلاط قد جعل علاقة الجنسين من السهولة بحيث أفقد كل شوق بين الرجل والمرأة، واستتبع ذلك أنه لفقدان المثل الأعلى أصبح التردي في حمأة الرذيلة من الضرورات، وإذا كانوا أصبحوا « رفقاء » في العمل والألعاب والشهوة، وفي المال والرياضة، فان الذي اختفى من العلاقات بين الرجل والمرأة إنما هو العاطفة، تلك العاطفة التي كانت ثابتة، وكان يقوم على اكتنافها بناء العائلة الحقة.

وإنه إذا كان حقاً أننا نعثر في الأعمال الحرة على عدد من الجمعيات المؤسسة على التقدير المتبادل، وأننا نجد الشريكين يرتبطان برابطة من التآزر الشائق، فانه من الجلي أنه حتى في العصور المظلمة توجد دائماً شواذ، ويجب ألا ننسى أننا لا نبني أحكامنا على مثل هذه الشواذ ولكن على الاتجاه العام، إذ ليس كل واحد قادراً على الدراسات العالية التي تربطه بالآخر برباط شريف.

والفكرة الحديثة عن الشريكين قد جعلت الحياة لمن استوفت احساساتهم الاجتماعية شاقة عسيرة. هذه الحياة التي كانت فخراً في كل عصر من العصور، حيث كانت الصالونات تؤلف بين عظماء رجال العصر، أصبحت تجرى هذه الحياة بين المراقص والصالونات التي ترتشف فيها أكواب (الكوكتيل) ويدور فيها الرقص حتى آخر الليل، وحيث لا يجد من يصرف مثل هذه الاشياء، إلا في موائد الميسر.

وبعد هذا نفتخر بأننا نعيش في عصر التقدم والحضارة! إننا نقترح على القراء أن يرجعوا بأبصارهم إلى القرون الوسطى. وإلى عصور أخرى قديمة ينعتونها اليوم بأنها « مظلمة ». فما

(البقية على الصفحة رقم ١٠٩٧)